وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

شهادة مشاركة

يتشرف السيد عميد كلية الآداب واللغات ومدير مخبر سيميولوجيا المسرح بين النظرية والتطبيق بمنح هذه الشهادة

للسيد (ة): **حكيمة بوشلالق** الصفة: **أستاذ محاضر أ** الجامعة: **المسيلة**

لمشاركته (ها) الفعالة في الملتقى الوطني الخامس: **المسرح والثورة** بتاريخ 07 مارس 2021 .

بمقر مخبر سيميولوجيا المسرح بين النظرية والتطبيق ، وبتقنية التحاضر عن بعد.

بمداخلة موسومة بـــ :**بنية الشخصية في مسرحية "هستيريا الدم" لعز الدين جلاوجي.**

عميد الكلية

عميد كلية الآداب واللغات
عمار بن قريشي

مدير المخبر

الأستاذ / بوطاجين العم

المداخلة: بنية الشخصية في مسرحية "هستيريا الدم" لعز الدين جلاوجي

تمهيد:

تشكل الشخصية المسرحية في المسرح عموما والمسرح الثانوي خصوصا أحد البيانات الداخلية والمرتكزات الضمنية للنص والخطاب المسرحي الموجه لعموم القراء.

كما تعتبر من العناصر الرئيسية في الإنتاج المسرحي وفي بناء أحداثه بشكل مفصل مكتمل البنى والحيثيات.

والكاتب للنص المسرحي يركز عليها وهو يشرع في إنتاج عمله، فيجعل من الشخصيات بنى أدائية تعبّر عما في خياله، وتنقل مختلف الحالات التي تنتابه، وقد تجسّد أفكاره من خلالها عن طريق أنساق ثقافية متشبع بها.

وقد أولى المبدع عز الدين جلاوجي عناية كبيرة بالشخصية ونوع في ذكرها داخل مسرحية "هستيريا الدّم".

وإذْ أردت الوقوف عند الشخصية.وأصنافها في المسرحية يلزم عليها بداية أن نتوقف عند:

أولا: مفهوم البنية الشخصية

1-تعريف البنية:

أ-لغة: وردت لفظة البنية في معجم لسان العرب من الفعل (بنى) "والبناء المبنى، والجمع أبنية، وأبنيات جمع الجمع، واستعمل أبو حنيفة البناء في السفن، فقال: يصف لوحا يجعله أصحاب المراكب في بناء السُّفن: وإنه أصل البناء فيما لا ينمي كالحجر والطين ونحوه...والبَنَّاء: مُدَبِّرُ البنيات وصانعه، والبنية والبُنية: ما بَنَيْتُهُ، وهو البِنَى،...والبنَاءُ: لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة".[1]

ب-اصطلاحا: جاء مصطلح البنية من الفعل اللاتيني (Structure)، والذي يعني "البناء أو الطريقة التي يقام مبنى ما".[2]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة ومحققة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، 2005، مج: 2، مادة (بَنَى).

[2] – صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة-مصر، 1998، ط:1، ص: 120.

ومفهوم البنية في اللّسانيات مفهوم قديم يعود إلى القرن الثامن عشر، حيث ظهر في المعجم التقني للفلاسفة والرياضيين وبالتقريب سنة 1623م مع غاليلي (Gallile) وكان آنذاك يعني: «كل مجموع الأشياء التي تتماسك فيما بينها، أو كل مركب أجزاء مرتبطة ببعضها البعض».[1]

وهذا المصطلح اللغوي حديث، فكثير من الباحثين يستخدمونه بمفاهيم مختلفة ومتنوعة، فأحيانا يطلقونه على «النظام الذي يشرح قابلية الكل لأنه يتكون من أجزاء متضامنة، وأحيانا أخرى يطلقونه على الكل الذي تنتظم فيه عناصر ذات طبيعة محددة».[2]

2-مفهوم الشخصية:

أ-لغة: ورد لفظ الشخصية في معجم لسان العرب من الفعل (شخص) بقوله: (شخص: الشخص: جامعة شَخْصِ الإنسان وغيره، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، وشخص بالفتح شخوصا: ارتفع... وَشَخَصَ الشيء يَشْخَصُ شُخُوصا انْتَبَرَ، وشخص الجرح ورم، والشخوص: ضد الهبوط... .

كما جاء في القاموس المحيط: «شخص كمنع، شخوصا: ارتفع بصره، وشخص السّهمُ يَشْخَصُ شُخُوصًا، فهو شاخص علا الهدف، وأشخصه صاحبه: علاه الهدف»[3] فتح عينه وجعل لا يطرفُ وبصره: رفعه، والشخيص: الجسيم، وأشخصه أزعجه، والمتشاخص: المختلف، والمتفاوت.[4]

---

[1] – محمد مداني، مفهوم البنية في اللّسانيات، مجلة اللغة العربية وآدابها، مج: 5، ع: 1، ربيع الأول 1439هـ/ديسمبر 2017م، ص: 173.

[2] – المرجع السابق، ص: 114.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، 2005، مج:8، مادة (شخص).

[4] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط: 3، 2005، ص: 621.

إذن فالشخصية هي عبارة عن كائن بشري عاقل له جسم وبصر وارتفاع وظهور، كما أنه يسافر من بلد إلى بلد آخر، وهذا دلالة على أن «الشخصية شيء حسي يحب البروز للملأ ببدنها وأفعالها وأقوالها».[1]

ب-اصطلاحا: هناك تعريفات عدة لمفهوم الشخصية، تختلف باختلاف مجال دراستها والعلم الذي يدرسها، ومن أبرز التعريفات العامة للشخصية نجد:

-تعريفات علماء النفس:

عرفها العالم كَمْف بأنها الطرق والاستجابات التوافقية للفرد مع بيئته، أو حالة التوازن بين الدوافع الذاتية والمتطلبات البيئية.

وكان تعريف مورتن بريس يفسر الشخصية على أنها المجموع الشامل لخصائص الفرد، والاستعدادات البيولوجية الموروثة، والخبرات والأنماط المكتسبة من البيئة الخارجية، ويركز هذا التعريف على النواحي والجوانب الداخلية التي تكون شخصية الفرد.[2]

تعريفات علماء الاجتماع:

جمعت في قولهم هي: «مجموع العادات والأنماط السلوكية الخاصة بفرد معين، والتي تنتج عن العوامل الوراثية البيولوجية والاجتماعية المكتسبة والثقافية».[3]

والشخصية في الفلسفة تحدد بعوامل هي: المزاج، والأخلاق، والطبقات الاجتماعية.[4]

نرى في الأخير أن الشخصية هي التنظيم الشخصي للفرد، والذي يحوي جميع الأنماط والتفاعلات السلوكية التي لها الدور المهم في اختياره بطريقته الخاصة في تكيفه وتفاعله مع بيئته.

أما الشخصية في الدراسات المعاصرة والمناهج النقدية الحديثة كالمنهج البنيوي والمنهج السيميائي، حيث نجد الشخصية في المنهج البنيوي «أنه لا يعامل الشخصية باعتبارها جوهرا سيكولوجيا، ولا نمطا اجتماعيا، وإنما باعتبارها علامة يتشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي

---

[1] – سعيدي ميمونة، بناء الشخصية الكوميدية في مسرح عبد القادر علولة، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2011-2012، ص: 19.

[2] – موسوعة ويكيبيديا...تعريف الشخصية.

[3] – المرجع نفسه.

[4] – المرجع نفسه.

ينجزها في سياق السرد وليس خارجه»[1]، فهذا المنهج لا يعامل الشخصية وفق المنظور السوسيولوجي أو المنظور السيكولوجي بل علامة لها مدلولها داخل النص.

أما فليب هامون فيرى أن «الشخصية ليس مفهوما أدبيا محضا، بل هي مرتبطة بالوظيفة النحوية التي يقوم داخل النص، أما الوظيفة الأدبية في رأيه تأتي حيث يخضع ناقد الشخصية الأدبية إلى المقاييس الجماعية، فهي تركيب يقوم به القارئ أكثر مما يقوم به النص، حيث تتوزع هويتها في النص من خلال أوصاف معينة»[2]، كما عدّها -هامون-مجرّد كائن لغوي محض، فهي بناء «يقوم النص بتشييده أكثر مما هي معيار مفروض من خارج النص».[3]

3-الشخصية المسرحية:

تعتبر الشخصية المسرحية من أهم عناصر البناء الدرامي التي تلهم الكاتب المسرحي وتمده بفكرة المسرحة، فلا يوجد نص أدبي إلا وجدناه يحوي من الشخصيات، فلا توجد "مسرحية بدون شخصيات إنسانية، فالمرء يحب بقليل أو كثير من النرجسية، أن يشاهد ذاته على المسرح، من خلال الممثلين، لذلك هو لا يمل الموضوعات ذات الصلة بأحاسيسه ومشاعره.[4]

إن الشخصية المسرحية هي «تصوير منظم لجانب واحد من إنسان ما في جميع خصائصه التي تميزه عن غيره، موضوعا في حالة صراع مع الآخرين، مقصودا به الوصول إلى هدف معين»[5]، كما أنها تعتبر «وجهة نظر عن إنسان يحملها الكاتب مدلولات معينة واضعها إياها في مرحلة زمنية تستوعب كيفية تطورها»[6]، فهي الوجود الحي الملموس الذي يراه المشاهدون

---

[1] – حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2009، ط: 2، ص: 208.

[2] – حميد لحميداني، بنية النص السريد، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000، ط: 3، ص: 52.

[3] – فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الهوائية، تر: سعيد بنكراد، تق: عبد الفتاح كيليطو، دار الكلام، الرباط-المغرب، 1999، ط:1، ص: 51

[4] – لطيفة ديلمي، بناء الشخصية في النص المسرحي لتوفيق الحكيم، مسرحية شمس النهار أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، جامعة المسيلة، الجزائر، 2017، ص: 23.

[5] – فرحان بلبل، النص المسرحي الكلمة والفعل دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق-سوريا، 2003، د.ط، ص: 90.

[6] – سحر شبيب، البنية السردية والخطاب السردي في الرواية، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة دمشق-سوريا، 2013، ع: 14، ص: 106.

وهي عبارة عن نص واحد مترابط، بل هي حكاية واحدة تحكي خبايا مختلفة بأسلوب حماسي وكلها تنصب حول الاحتلال وما تخلفه من دمار ويأس وبؤس للبشر وللوطن.

2-الشخصية في دفاتر المسرحية:

أ-الدفتر الأول: جولييت تحلم بروميو

في هذا الدفتر توزعت الشخصية بين ثلاثة هم: الجندي العسكري المتقاعد فرنسوا François الذي قضى فترة طويلة من حياته في الجزائر يقتل ويسفك ويدمر ويخرّب وينهب الثروات والخيرات هو وغيره من الملايين من الجنود الفرنسيين الذين نالوا الأوسمة الفرنسية العسكرية نظرا لما ارتكبوه من فساد ودمار ومن قتل وسفح لأبناء الجزائر.

فرنسوا كغيره من الجنود جاء من الغرب محملا في ذهنه معتقدات كاذبة بأنهم هم الفاتحين المنقذين والمخلصين للعالم، وهم من يصنع الحضارة وما دونهم ممج ورعاه ولن يتمكنوا من فك أوطانهم من طلاسم الجهل والأمية.

كل هذه الأفكار وهذه القناعات جاؤوا محملين بها وبقوة وبسيطرة غير محدودة في أنهم هم الفاتحين للعالم والمالكين الأصليين لكل البقاع.

فرنسوا الجندي المتعاقد لديه ابنته جوستين Justine هذه الفتاة أحبت جنديا فرنسيا يدعى ميشال Michael، هذا الأخير يحمل في أعماق قلبه حقدا دفينا فاق من سبقه من الساسة الكبار، في طيات قلبه مليء بالكره الشديد للجزائر وهو المنقذ كغيره لهذا الوطن الجاهل في تقديره ولا مفر من الذهاب إليه والسيطرة عليه وعلى ثرواته.

التقى ميشال مع حبيبته جوستين الفتاة الشقراء الجميلة في لقاء توديعي لها جَرَى حوارا بينهما من غير أن يحسا بفرنسوا أنه منزو على أريكته في هدوء يسمع تحاورهما.

ميشال: حبيبتي جوستين الغالية....زهرتي الـ...

يرسلها إلى الأرض وهي تقاطعه.

جوستين أنا من دونك يا حبيبتي زهرة من غير شذا...جسد من غير روح...فأنت يا حبيبتي روحي وشذاي.

هنا يعتدل ميشال في وقفته ويستعد استعداد الجندي في ساحة العسكر أمام ساسته، فيزداد إعجاب جوستين به وبلباسه العسكري وكأنه يؤدي تحية العلم أمام ضابطه قائلا لها:

-أرواحنا من أجل فرنسا، دماؤنا من أجل الخلود.

في هذا السرد تدخل جوستين شخصيات هامشية في حوارهما، حيث ذكرت بأنه حفيد: نابليون العظيم، وديغول العبقري، وعلى دربهما لا بد من رفع راية فرنسا عاليا، وستعود يا حبيبتي مكللا بغار النصر، ستلقاك المدينة، كلها بباقات الورود والابتسامات، وسنقيم لك يا حبيبتي تماثيل من الحب والتمجيد. تعال...تعال...

يضيف ميشال بقوله: سأذهب ببركة القديسة جون دارك التي بعثها الرب لإنقاذ فرنسا. جوستين ستعود محملا الانتصارات، وسنعلق لك الأوسمة والتماثيل.

يخلق هنا حوار حماسيا بين جوستين وميشال، في حين فرنسوا يسمع ما يدور بينهما من تفاؤل حول الحرب والحب، وهم المخلصون للعالم بزعمهم، وفرنسوا يسمع هذا التحاور ليبادلهما بوابل من الألفاظ والسّباب والشتم واللوم على ما فعله الأوائل من جرائم في حق شعب أعزل في بلاده وهم كانوا على خطأ وليس هم من حرر هؤلاء الشعوب من مغبة الجهل والأمية، ولكل وطن خيراته وآماله وأحلامه، ولا دخل لدولة في تسيير شؤون دولة أخرى أو تغيير أوضاعها.

ليحدث في هذه الأثناء مشادات كلامية بين فرنسوا وميشال وبقيت جوستين حائرة بين الحبيب والوالد، في محاولات منها لتهدئتها والحد من هذه المشادات والتشنجات بينهما.

لكن في الأخير قررت البقاء مع والدها العجوز المتقاعد الذي ندم أشد الندم على ما فعله.

وتركت حبيبها يهاجر عساه يرجع بالخير والخلاص والانتصار لكنه سيندم مثلما ندم الأوائل.

ليدخل جوستين هنا قصة روميو وجولييت كشخصيات هامشية وتشبيه حبهما بحبهما، لكن قصة حبهما ككل قصص العشاق في العالم نهاياتها مأساوية، فكما قتل روميو نفسه بخنجر وتجرعت جولييت في ذاتها اللحظة كأسًا به سم فماتت بعده ودفنا معا، هذا الاستشهاد الذي قالته

جوستين وكأنه علامة لنهاية قصة حبها مع ميشال الذي قرر الرحيل من فرنسا وعدم العودة حتى يأتيها منتصرا أو مقتولا لأجل الحضارة المزعومة وينصب له التماثيل تخليدا لذكراه.

بقيت جوستين وراءه تتجرع ألم الحسرة والوداع في فراق حبيبها الذي تصادم مع والدها التي بقيت معه وفي قلبها الحسرة والأسى.

هنا تنتهي مشاهد هذا الدفتر الأول الذي جاء بعنوان "جولييت تحلم بروميو"، الذي انتهى بهذيان فرنسوا مع الكاهن ترسياس والملك لايوس وابنته أوديب الذين تأكدوا بأن الحقيقة الباقية هي عدم الاتفاق مع الكاذبين والبهتان الذي يأتون به هؤلاء السحرة المردة لتظليل المخلوقات، وأن الأصل في البقاء هي الحقيقة والواقع المعاش بأن لا دخل لأحد في تسيير شؤون أحد مهما كان فردا مع فرد أو دولة مع دولة.

كما تجسد أصناف الشخصيات الثانوية في قضية أخرى من هذا الدفتر وذلك* بعد خروج جوستين مع حبيبها ميشال وتركها لوالدها القذر وقصة أوديب والملك لايوس، حيث يندفع الكاهن باتجاه الملك لايوس بقوله: «أنا خادمك بين يديك وتحت أمرك، ويقترب منه لايوس في غضب بقول: لقد قررت أن أقتلك، وأن أسفك دمك القذر أيها الكاهن القذر، يا من قطعت نسلي بخزعبلاتك، ودفعتني لأن أتخلص من ابني فلذة كبدي».

فالكهنة يزينون للإنسان الموت والحروب وسفك الدماء، وتزعمون له أن ذلك طريقا للمغفرة والخلود والسعادة.

ليستحضر الكاهن ترسياس أوديب المقتول على يد والده الملك لايوس، وقد أعاد له الحياة بقوله: «ها هو قد جاء، تفضل أوديب، تفضل أبوك جنّ، يريد أن يتحدى القدر، يرفض أن تكون ريشة في يد القدر، يرفض أن تكون دمًا دربًا للسماء».

ليندهش الملك لايوس ويتعجب من ولده ومما صار عليه بقوله: «ولدي أوديب صرت شابا قويا، اعذرني...، لكن المفاجأة كانت بصد أوديب لأبيه، إذ يقول: ابتعد عني لا تلمسني، ضيعتني صغيرا، وحلمتين خدمك كبيرا، ثم قذفت بي في أتون المعصية والانتحار إنك...

---

* – الاقتباسات الموجودة في عنصر الشخصيات الثانوية ميثوثة في آخر دفتر "جولييت تحلم بروميو"، ص: 19–22.

وفي هذه الأثناء ينتقم الملك لايوس من الكاهن ومن هول ما قاله له أوديب وصدّق له وعم رغبته في رؤيته، وهذا كله من عمل الكهنة المردة الشاطين الذين يزينون المعصية بين بني البشر وبين الآباء وأولادهم، فيستل أوديب ووالده الملك سيفهما ويشهرهما في وجه الكاهن في حقد، ويفر الكاهن خارجا.

هنا يستفيق فرنسوا من هذيانه ويعتدل مكانه على الأريكة ويفرك عيناه في اندهاش شديد، يتمتم وهو يقوم مرتجفا «ما هذا؟ ماذا أرى؟ في أي عصر أنا؟ ما حل بي؟ أي ميشيل؟ أي جوستين يصرح مفروغا مع وحدته التي بقي فيها».

معارضا لميشال وابنيه جوستين وقناعتهما حول حربهم على الجزائر بأنها أرضهم وهو منبع الحضارة والتقدم، وعليهم أن يفكوا ثروات الباطنية فهي ملكهم وهم من يصنع الحضارة، وهم من يحقق المجد والخلاص...والمجد لهم في الأرض والسماء على حد قول ميشال الجندي الفرنسي السفاح السفاك لدماء الجزائريين، لكن جوستين رغم حبها له بقيت مع والدها الذي أنهكه التفكير والندم على ما فعله من مجازر في الجزائر بأمر من ساساتهم باسم الوطن والشعب، وباسم الله والدين والتاريخ.

جاءت بنيه الشخصية في دفتر "جولييت تحلم بروميو مترابطة ومتراصة فلا تستطيع الفصل بين ما هو رئيسي وما هو ثانوي من شخصيات، بالإضافة إلى تزيينها بذكر بعض أسماء الشخصيات الهامشية من التاريخ التي ساعدت في تعميق البنية المشهدية لهذا الدفتر المسرحي.

ب-الدفتر الثاني: مصارعة العفاريت

البنية المشهدية لهذه المسرحية تتلخص في ثلاث شخصيات اثنان رئيسيان وواحدة ثانوية، فالرئيسية تتمثل في الأم وابنها علي وذلك الحوار الذي دار بينهما في محاولة إقناع علي لوالدته بأنه يرغب ويصر على الالتحاق بصفوف الجيش للتحرير البلد الجزائر من يد المستعمر الفرنسي ومحاولات الأم التي فشلت في إقناعه بعدم الالتحاق لأنها كما قالت أنجب عشرة بطون، ضيعت ستة ونجوت بأربع منهم أخيه الأكبر وأختيه.

الأخ الأكبر هو الحسين الذي أخذته الحرب ظلما في حرب الألمان وقضى ثلاث سنوات ولا خبر عليه يرسل إلى أمه سواء بقتله أو حياته.

الأم تخاف على ابنها علي بعدم الالتحاق لكن رده كان بقوله: «مهمتنا يا أماه جميعا أن نلتحق بصفوف النصر للأرض وللوطن، هذه الحرب لا نريدها، ولكنها مفروضة علينا، وليس لنا طريق ثالث غير الثورة ضد المجرمين الذين استباحوا أرضنا، المتخلف عنها أنني لا يحب إلا نفسه، جبان يسكن إلى هواجسه، لقد انطلقت الثورة منذ عامين، وأنت تسمعين أخبارها وانتصاراتها هجوم الشمال القسنطيني، ومعركة الجرف علما فرنسا أن هذا الشعب أقوى وأصلب، وسترضخ قريبا، نعم سترضخ، ألا تحبين لنا أن نتحرر؟

أيسعدك أن يظل وطننا أسير هذا الاستعمار الخبيث؟ انظري إلى حالنا في أوطاننا نسكن الأكواخ البائسة، يفترسنا الجهل والفقر والأمراض ونقتل في كل لحظة كما الكلاب المشردة، في حين ينعم المحتل الظالم بكل خيراتنا، فهل نسكت؟...-تبكي الأم من فقدان ولدها-الآجال بيد الله -تردد الأم- آمنت بالله».[1]

في هذه الأثناء وهذا الجو الحزين مع الأم وابنها علي يقرع ابنها الحسين الباب، يقبل والدته، يقنعها بالتحاقهما وقد أمات الأوروبيون كل مشاعر الإنسانية، وغيرت الحرب طباعه، وقتلت قلبه الصغير لأجل تلبيته لنداء الوطن، لكن بالرغم ما ارتكبه المستعمر من اغتصاب للنساء والعجائز والأطفال وإحراقهم للمدن والقرى، إلا أن الشباب الحسين ما زال يؤمن بأن الحرب أخلاق، لا يمكن أن يكون همجيا مثلهم.

ينادى على أخيه علي: لقد أطلنا؟ الإخوان بانتظارنا.[2]

يرجع علي لوالدته ويقبل رأسها ويودعانها، وما زال قلب الأم يتألم لكن بالرغم من ذلك أخرجت لهما لباشا صوفيا نسجته وادخرته لمثل هذا اليوم الموعود.

ظهرت الشخصية هنا كتلة واحدة بينة محكمة التركيب والنسيج السردي المباشر.

شخصيات ثلاث لعبت دورا هاما في هذا الدفتر المسردي.

---

[1] - جلاوجي، هستيريا الدم، دفتر مصارعة العفاريت، ص: 28، 29.

[2] - دفتر مصارعة العفاريت، ص ص: 31-32.

ج-الدفتر الثالث: الكلاب المسعورة

في هذا الدفتر المسرحي تبرز شخصيتان ثانويتان تتمثل في جنديان فرنسيان قدما إلى بيت عائلة الحسين وعلي، الذي كان فيه والديهما الأم والأب الشخصين الرئيسيين، وأختهما خديجة، التي لم تكن هنالك في البيت.

هذان الجنديان دخلا بقوة إلى البيت العائلي واستنطقها الأب والأم بإهانتهما ومحاولة تعذيبهما في التعرف على قطاع الطرق-كما قالوا- الذين حضروا البارحة إلى بيتهما.

يجيب الأب في محاولة تكذيب ادعائهما ومحاولة التعرف عن مكان تواجد الحسين وعلي.

فهؤلاء في ظن الفرنسيين هم أعداء فرنسا، لكن الأب لم يصرح عن تواجدهم بالرغم ما ألم به من ضرر التعذيب، ليجروا والدتهما التي لم تبح عنهما، وأخبرتهما أنهما في الغابة لأجل الاحتطاب فقط.

د-الدفتر الرابع: الجراح الحالمة

تعود الشخصية الرئيسية من جديد في هذا الدفتر المسرحي وفي مشهد درامي حزين يتمثل في عودة وزيارة الابن الأصغر علي لوالديه في ريعان شبابهم، يرتدون ألبسة عسكرية ويحملون رشاشات مع ثلاثة جنود-يمثلون شخصيات ثانوية-بعد سماعهم بخبر اقتحام العدو لبيته ومحاولة تفقد عائلته في حيرة وحزن شديدين.

تفتح الأم الحزينة الباب لعلمي يرتمي في حضنهما الدافئ شوقا وحنينا ودفئا وإيناسا وراحة، سائلا إياها عن أحوالهم بعدهم وعن حال والدي وأخته خديجة.

الأم تقص ما حدث لهم وفي القلب غُصّة وحزن كبير لوحشية العذاب الذي لحق الأب، وتهريب خديجة لئلا تغتصب من طرف العدو.

في هذه الأثناء أخذ أحد الجنود يهدئ من روعها قائلا: «هذه المرة هم من يدفع الثمن غاليا يا أماه، شجرة الثورة مرة عليهم، جبنهم يدفعهم للاستئساد على النساء والعزل».[1]

[1] - الدفتر الرابع، الجراح الحالمة، ص: 47.

يخيم الصمت الحزين على الجميع، يقطعه علي وهو يقبل رأس أمه قائلا: «مهر الحرية غال يا أماه، والجزائر تستحق منا كل ما نملك، دماؤنا، أرواحنا، أموالنا، يجب أن تعبد الطريق للمستقبل».[1]

تبكي الأم لقول ابنها قائلة: يسكون الدرب طويلا طويلا، ومريرا يا ولدي، يرد عليها قائلا: «بل هو قصير قصير يا أماه، ثورتنا انتصرت، وهي تجتاز أعوامها الأولى، والاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة، وستخفق رأيتنا قريبا، وستعلو الزغاريد في الربى والجبال، صدقت نحن نقاتل بأحلامنا، وأحلامنا أعتى من كل عفاريت، وغيلان الكون، نقاتل بقلوبنا الصغيرة وهي عصية على كل الصواريخ والدبابات والطائرات».[2]

يضيف علي قائلا: «سنعصف يا أماه بالظلم والظالمين، نطردهم كالجراد إلى ما وراء البحر ليعودوا من حيث أتوا، ستخفق راية الشهداء بشموخ، ستعلو أفراحنا أغانيا وزغاريدنا سـ...»[3] ما يزال المشهد الثوري في هذا الدفتر المسرحي، حديثا وسردا لجرائم المحتل في محاولات وحشية للتعرف على المجاهدين أو كما وسموهم بقطاع الطرق وعن مكان تواجدهم استنطاق النساء والشيوخ والأطفال والعزل، وإهانتهم بشتى أنواع صنوف العذاب في قمة الوحشية والحيوانية.

هـ-الدفتر الخامس: الحضن الآمن

في هذا الدفتر المسرحي ظهور شخصية رئيسية أخرى إلى جانب الإخوة علي والحسين قائدهم الذين أبدوا في التحضير ليلا لمعركة قوية ضد المحتل الذين داهموا الغابات **سياحنانهم** وطائراتهم، هنا بدأت المعركة، نادى القائد بأعلى صوته: «أيها الإخوان ها هي ثورتنا المظفرة تصنع على أرض الجزائر ملاحم للبطولة والاستشهاد، حتى صارت مضرب الأمثال لكل شعوب العالم المقهورة، ها أنتم أيها الأبناء المخلصون تستعدون اللحظة لتكتبوا على صفحات الخلود أسطرا من ذهب».[4]

---

[1] – الدفتر الرابع، الجراح الحالمة، ص ص: 48، 49.

[2] – المرجع نفسه، ص: 49.

[3] – المرجع نفسه، ص ص: 49، 50.

[4] – الدفتر الخامس، الحضن الآمن، ص: 54.

يواصل القائد حديثه «لقد بلغنا من عيوننا داخل الجيش الفرنسي أن قوات ضخمة قد تحركت اللحظة لمهاجمة الآمنين في قراهم والانتقام منهم، ولكننا سنكون لهم بالمرصاد، وسنعطيهم درسا يتيما متفردا في الشجاعة والإقدام والتضحية بالنفس من أجل أن تتحرر أرضنا وتحقق رايتنا عاليا، لا مجد إلا للعشوب المكافحة، العشوب المنتفضة ضد الظلم والفساد، ضد استدمار بغيض فتك بالخير والحب والجمال».[1]

في هذه الأثناء تتعالى صيحات المجاهدين مكبرة صائحة بحياة الجزائر-الله أكبر تحيا الجزائر، الله أكبر تحيا الجزائر.

أصيب في هذه المعركة الشرسة البطل الرئيسي الحسين بجروح متفاوتة الخطورة، رضخ للشهادة وتلهية العدو برصاصاته المباركة التي حطم بها طائراتهم وتهاوت إلى الأرض، ليتمكن القائد وعلي بالانسحاب بعيدا، ويخمد دوي المعركة رويدا رويدا، ويلف الظلام الكون كله.

مشهد حماسي شجاع بين الإخوة والمجاهدين والقائد في كسر شوكة العدو، بالرغم من قوته وعدده وعتاده إلا أنه لاقى الهزيمة والمذلة من طرف مجموعة مجاهدين بأسلحة تقليدية، لكن يوجد في قلوبهم قنابل نووية فلو فتح قلب أحدهم لأحرق فرنسا وما فيها عن بكرة أبيها...هي الشجاعة وحب الوطن وبركة الثورة جعلتهم يهزمون الجيوش والمركبات في الأرض وفي السماء.

و-الدفتر السادس: العين تتحدى المخرز

تعود في هذا الدفتر المسرحي الشخصية البطلة المتمثلة في الأب وعودة الجنود الفرنسيين إلى بيته وإخراج الأهالي من بيوتهم في محاولة الانتقام لهم مما حدث في المعركة التي انهزموا فيها.

وقع في هذا الدفتر حوارا شديدا بين الأب والضابط الفرنسي، الذي يسخر من الأهالي بقوله: «لقد آمنت الآن أنكم أكبر همج على سطح الأرض، جئناكم بالحضارة والرقي، أدخلنا إليكم العلوم والمعارف، أدرنا أن نجعل منكم بشرا لكنكم تعودون دوما إلى حيوانيتكم وبهيميتكم».[2]

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 55.

[2] - الدفتر السادس، العين تتحدى المخرز، ص ص: 62، 63.

يضيف قائلا: «اطمئنوا لن تنتصروا على فرنسا مهما تمردتم، يستحيل أن ينتصر الجهل على العلم، والتخلف على التقدم، والهمجية على الحضارة، وتأكدوا أننا سنبيدكم جميعا، مثلما فعل أسلافنا منذ قرن أو أقل في أسلافكم الذين زعموا أنهم يقاومون، قطعنا رؤوسهم وآذانهم وأيديهم وأرجلهم، وأحرقناهم بالمئات كما تحرق الأشواك والنباتات الضارة».[1]

ليدخل الضابط في حديثه ذكرا لشخصيات تاريخية ثانوية، بقوله: «ولم ينفعهم من غرر بهم من عبد القادر إلى بوعمامة مرورا بسومر والمقراني»[2]، هذه الشخصيات التاريخية ذكرها على سبيل السخرية، لكنها هي المؤسسة للدولة ولتاريخ الجزائر، هؤلاء هم الزعماء الأوائل، هم نواة الثورة وخاصتها.

ومن ظن أن سلالة هؤلاء سترضخ لهم فقد أخطأ مثلما أخطأ هذا الضابط الذي هوجم ومن معه من طرف ثلة من الجنود الجزائريين وأحاطوا بهم من كل مكان فلا مهرب لهم ولا مفر، وبدأت المعركة في وضح النهار، وسقط معاونوه من الجنود الفرنسيين كالفئران الواحد تلو الآخر، وأصيب الضابط برصاصات المناضلين وبقي وحيدا يزحف متحاملا على جراحه حتى يختفي عن الأنظار.

ز-الدفتر السابع: حصار الأفعى

عاد الصراع المشهدي في هذا الدفتر المسرحي العجيب، وذلك الحوار الجريء كله غضب ونرفزة بين صفوف المجاهدين من جهة، وبين علي وأمه من جهة أخرى، ومحاولة كل واحد منهم أن يقتل ذلك الضابط الفرنسي الجريح وكل واحد يقول بأنه الأولى في قتله حتى أرصى الرأي إلى علي الذي قتل الضابط أخاه الحسين والعشرات بل المئات من أهالي قريته.

ما إن صوّب علي رشاشه في فم الضابط حتى باغته أمه راضة قتله، لأنه -بزعمها- قائلة: «أسيرنا وليس من أخلاقنا قتل الأسرى والجرحى يا أبنائي...وما دام استجار بي وببيتي فنل

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 63.

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يلمسه أحد»[1]، فغضب المجاهدين من ردة فعل الأم التي فقدت زوجها وابنها الحسين لكن بالرغم من ذلك فقد منعتهم من قتلهم.

البطلة الرئيسية في هذا الدفتر أرجعت السلاح لولدها علي وسحبت الضابط الجريح إلى مكان آمن، أما المجاهدين فقد تغشهم الدهشة مما فعلت الأم.

مناورات كلامية بين الأم وعلي والمجاهدين، هاته الشخصيات كلها أصبحت في هذا المشهد المسرحي رئيسية، وتحولت شخصية الضابط إلى شخصية ثانوية، وما دام بقي مع البطلة الأمم سيتحول مشهده من ثانوي إلى رئيسي عساه تتحول أخلاقه للأفضل في المشاهد اللاحقة.

ج-الدفتر الثامن: عودة الخنزير البري

في الدفتر تحول الشخصية الرئيسية إلى ثانوية، فقد أصبح الضابط الفرنسي الأسير محور المشهد المسرحي هذا، مع ذكر للوالدة وخديجة ومحاولة الأم إنقاذ واستطباب هذا الجندي من جرحه الغائر.

تولدت نوع من الحوارية بين الضابط والأم وخديجة، وامتناع خديجة عن تضميد لجروح الضابط لأنه كما قالت: «خنزير بري».

في هذه الأثناء يطلب الضابط من الأم باستعطاف وشفقة بأن تطلق سراحه بحجة عنده زوجة وطفل صغير وأم وسيرحل ولن يعود مجددا، قائلا: «لن أنسى أبدا موقفك العظيم معي، لو لم تكونين أنت لكنت الآن في عداد الأموات، لقد أنقذت روحي، لن أنسى لك هذا الفضل ما حييت».[2]

رفضت خديجة بشدة، وتصفه بالخنزير، لكنه ثبت في مكانه مهددا، «اعلموا أن فرنسا قوية، لها جيوش جرارة، وأسلحة فتاكة، وطائرات نفاثة، وإن عرفت أني هنا، سيحرقون عليكم الدار، سيقتلونكم ويقتلون أهل القرية جميعا».[3]

---

[1] – الدفتر السابع، حصار الأفعى، ص: 73-75.

[2] – الدفتر الثامن، عودة الخنزير البري، ص: 79.

[3] – المرجع نفسه، ص: 81.

هذا الضابط فرنسوا الذي عارض خطيب ابنته ميشال، لكن ميشال رفض الانصياع لاه وسماع كلامه، وحذره بانه سيذب للجزائر ويرجع خائبا خائو القوى.

الضابط أصب في هذا المشهد المسرحي شخصية رئيسية لكنها مريضة ودخل في أهوال مع نفسه، حيث أصبح يهذي ويرى أحداثا وقعت أمامه شخوص وحيوانات وعصافير.

أهوال الحرب جعلته بهذي ويستذكر أحداثا كان مجرما فيها، وأهم حدث وقع له هو قتله للبريئة التي أنقذت حياته.

هذه الحادثة التي جعلته بندم بل وجعلته يهذي ويفقد صوابه ويتلفظ بأقوال أخافت ابنته جوستين التي حاولت أن تهدئ من روعه وعلاجه والوقوف بجانبه.

ردّ عليها بنبرة غضب، قائلا: «أنا وجدي يا جوسنين أن يقف ما أنا يواسيها، أنا وجدي يعالج أنا...لا أريد مساعدتك...لا أريد نصائحك».[1]

فرنسوا يهذى بالأم الزهرة منقذته ويتخيل صورتها ويتحسس صوتها، قائلا باستعطاف: «إني أتعذب، أرجوكم إني أتعذب...يرتفع الصوت ويصير أكثرو وضوحا...يداك ملطختان بدم الأبرياء...قلبك ملطخ بالحقد والغدر والخيانة، ضميرك ملطخ بالخسة والنذالة واللؤم».[2]

لتعود الشخصية الثانوية في الظهور مجددا متمثلة في الجنود الفرنسيين وبحثهم عن الضابط الأسير، فلم يهدأ لهم بال حتى وجدوه في مخبئه الموجود تحت الأرض.

لكنّ الخنزير اللعين أنكروا جحد كل ما قامت به الأم لأجله ومنعهم من قتله، فكان جزاءها في الأخير أن استشهدت على يد هذا الضابط النذل تاركا إياها سابحة في دماءها الطاهرة النقية، مرددة الشهادتين «لا إله إلا الله، حيث محمد رسول الله».

وما زال في غيّه ووحشيته أمر الجنود الفرنسيين بأن: «عيثوا في القرية فسادا، أقلبوا سافلها عاليها، اقتلوا رجالهم وأطفالهم، اقتلوا بهائمهم، أحرقوا أقواتهم وممتلكاتهم، اغتصبوا نساءهم».[3]

---

[1] – الدفتر التاسع، السياط الكاوية، ص: 91.

[2] – المرجع نفسه، ص ص: 94، 95.

[3] – الدفتر الثامن، عودة الخنزير البري، ص: 85.

مشهد مسرحي حزين في وفاة البطلة الأم، وخيانة الضابط له لما صنعت لأجله، هذا الأخير واحد من المئات الضباط الناكرين للخير والجاحدين له.

ط-الدفتر التاسع: البساط الكاوية

يمثل هذا الدفتر ويلخص كل مشاهد المسرحية التي وقعت بين الضابط الفرنسي الجريح الذي قامت بمعالجته البطلة الأم وابنتها خديجة والذي قتل الأم الزهرة **لأنها** كان لئيما ونذلا.

هذا الضابط الفرنسي هو نفسه فرنسوا الذي ندم في بداية المسرحية على ما قام به من خراب ودمار وهتك للأرواح وسفك لدماء الجزائريين.

ومهما تناسى الضابط فرنسوا، إلا أن صوت الزهرة مازال بداخله، أصواتنا داخلك...أصواتنا داخلك...أصواتنا داخلك، يحاول فرنسوا جاهدا بلا جدوى الاستماح من قذائفه التي رماها بطلقات رصاصه، صارخا: «زهرة أيتها الإنسانة الكبيرة...أيتها الإنسانة الرائعة...معذرة...يداي سأقطعهما...سأرمي بهما إلى الكلاب المشردة، قلبي الأسود الكالح سأقذف به في المزابل الفتنة...أرجوك زهرة-اغفري لي أيتها الأم الجليلة».[1]

كشفت بنية هذا الدفتر الأخير تحول في أدوار الشخصيات من ثانوية إلى رئيسية محورية، فتحول الضابط فرنسوا إلى شخصية مركزية نادمة خاضعة ذليلة.

ورجوع البطل ميشال في الدفتر الأول إلى شخصية ثانوية في هذا الدفتر الأخير، فمن شخصيته شابة يافعة قوية مقتدرة متسلطة مفعمة بالحيوية وحب السيطرة والتسلط على الأوطان، ونهب للخيرات والممتلكات إلى شخصية ضعيفة مريضة يائسة معاقة نادمة لهول ما حدث له في تلك الأوطان واستصغاره لهم، فكان الذل والهوان والمذلة لهؤلاء الضباط، والإعاقة الجسدية لهم، والمرض النفسي والجنون لفرنسوا.

ويتيه جوستين وحيرتها بين والدها المريض نفسيا وبين خطيبها ميشال المعاق جسديا.

---

[1] – الدفتر التاسع، البساط الكاوية، ص ص: 95، 96.

الخاتمة:

تمحورت الشخصيات في مسرحية "هستيريا الدم" في أقطاب هي:

من الجزائر: الأم البطلة الزهرة وزوجها وابنيها علي والحسين وخديجة والقائد والجنود الجزائريين (المجاهدين).

من فرنسا: الضابط الفرنسي فرنسوا وابنته جوستين وخطيبها ميشال، والجنود الفرنسيين (المحتلين).

في المسرحية تسع دفاتر مترابطة تتحدث عن موضوع واحد وهو الاحتلال الفرنسي وهزيمته في الجزائر.

- تتحول الشخصيات وتظهر وتختلف من دفتر لآخر لكن الموضوع الأساس نفسه.
- وضع الكاتب عز الدين جلاوجي لكل دفتر عنوان يترجم في عبارة أو جملة الأحداث التي وقعت في فحوى ذلك الدفتر المسرحي.
- تعمد الكاتب تسمية الدفاتر بدل الفصول على غير ما جاء به الكتاب المسرحيين وابتعادا عن تقليدهم، ليكون أول مبدع ابتكر وأدخل لفظة الدفتر على المسرحية قاصدا به الفصل المسرحي.
- تراكيب مفهومة، سرد واضح للمسرحية.
- جعلنا نعيش أحداث المسرحية بكل دفاترها.